



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN - SAHAR  
Date : 18 - 5 - 95  
Photo No. : 325

## Salut l'artiste !

رئيسان على مدخل "قصر الجمهورية" كما يسمى الاليزيه احيانا. يتبادلان طرف الحديث وهما يهمان بنزول الدرج المكسو بسجادة حمراء. لا يتوقفان عند سفل الدرج. ربع ثانية ترد في عين جاك شيراك، الرئيس الجديد، ثم يستمر في المشي قرب فرنسوا ميتران، وكأنه اراد التعبير عن تقديره للسلف بمرافقته حتى سيارته المتوقفة عند طرف السجادة الحمراء، وسط باحة القصر. يخطوان مترين. يمد ميتران يده مبتسما، كأنه يود اختصار مراسم الوداع، او كأنه يريد ان يخطو وحده الامتار القليلة المتبقية قبل ركوب السيارة، او كأنه يقول: شكرا على لطفك، ولكن اتركني اكمل وحدي، فانا الآن اخرج من السياسة لدخول التاريخ.

الابمة الجمهورية، هذا الاختراع الذي استنبطه الفرنسيون حتى يبقى لرؤسائهم شيء من مظهر الملوك، الابمة الجمهورية وقد اجتمعت كل مقوماتها في هذا اليوم تزيد بالتاكيد من تاريخية اللحظة. لكن دخول التاريخ يتعدى الشكليات في حال فرنسوا ميتران. فهو اذ يخطو خطواته الاخيرة في باحة الاليزيه يعرف انه حقق ما لم يحققه احد من اسلافه، وما قد يستحيل تكراره في المستقبل المنظور: انه اول رئيس انتخب مرتين بالاقتراع الشعبي، واول رئيس يمضي اربع عشرة سنة في سدة الرئاسة، واول رئيس في الجمهورية الخامسة يترك منصبه بعد اكمال مدته كاملة ومن دون هزيمة انتخابية شخصية (كما حصل مع فاليري جيسكار ديستان عام 1981). هذا فضلا عن كونه اول رئيس يعيش تجربة المساكنة مع حكومة تنتمي الى تيار سياسي مناهض له، تلك التجربة التي كثيرا ما اخرجته من دون ان تستطيع ان تخرجه، لا في المرة الاولى بين 1982 و1988، ولا في المرة الثانية بين 1993 و1995.

بالطبع، لا يكتب التاريخ مسبقا. لذلك من الصعب التكهن بالصورة التي سيحفظها التاريخ عن ميتران، ما خلا هذه السوابق التي حققها. والاصعب من ذلك ان شخصية ميتران لم تكن يوما قابلة للاختزال، لا سياسياً ولا حتى عاطفياً. بل يمكن الجزم ان الذين كانوا له اعجابا ثابتا وكاملا ظلوا قلة في مختلف المراحل. وربما كانت هنا قوته في الساحة السياسية الفرنسية منذ نصف قرن: يشير التحفظ اكثر مما يجتنب التعاطف، ومع ذلك، فلا مهرب من التعامل معه، والتعويل عليه، وحتى "البناء عليه" انا جاز التعبير.

ان هذه القدرة على اختلال موقع سياسي غير قابل للتجاوز هي بالتأكيد العامل الاول الذي مكّن ميتران من تجميع اكثر من نصف فرنسا حوله في السبعينات، وصولا الى انتزاعه رئاسة الجمهورية من جيسكار ديستان عام 1981. ان هذه القدرة نفسها هي التي مكنته من الفوز مرة ثانية (على جاك شيراك) عام 1988، ثم جعلته يستمر في الحكم حتى الساعة الاخيرة، على رغم كل المضاعف، فاصبح فنان البقاء بامتياز.

بالطبع، لم يحرز ميتران هذه النجاحات من دون ان يؤدي قسطه من الخيانات، الفكرية او الشخصية، وأخرها كان الاغتيال السياسي المنظم الذي دبره ضد ميشال روكار. لكن الصفات هذه تسقط عندما تعامل السياسة كأحد الفنون الجميلة، كما فعل ميتران "الفلورنتيني"، نسبة الى فلورنسا مدينة مكيافيلي وأل مديتشي.

سيحكم التاريخ على رجل الدولة، وقد يكون قاسياً. لكن رجل السياسة يستطيع ان يطمئن وهو يخرج من المسرح، انه على الاقل كان فناناً كبيراً. فله التحية.

سمير قصير